

بين سفاح المحارم والجنسانية الطفولية: الإغواء¹

سيدي الرئيس،

سيداتي، سادتي،

لو سمحتم، سأتناول موضوع هذه الندوة من منظور مختلف بعض الشيء اعتمادًا على علم النفس التحليلي. في البداية سأسرد بعض الحقائق:

بادئ ذي بدء، إنّ التغطية الإعلامية الكثيفة والمربكة للمسائل التي شرعنا بتحليلها منذ الأمس تجعلني في كثير من الأحيان أعيد التفكير فيما نسميه "عودة المكبوت"² لسبب وجيه. فالتفسيرات المتتالية التي انحرفت عن الاكتشاف الأساسي لفرويد، أعني الجنسانية الطفولية - لنظرية "التعلق" لبولبي (Bowlby)، وهي آلة حرب حقيقية ضد الجنسانية الطفولية، وصولاً إلى السيكلوجيات - لأننا أو السلوكية - القائمة على الإرادة، سواء كنا نسميها تكيّفية، أو أنانية أو سلوكية، وهي التي لم تعد تعترف بشيء عن اللاوعي أو الجنسانية، كل هذه التفسيرات النظرية أخفت الغبار الجنسي تحت السجادة: إنها تمثل بلا شكّ نهجًا أكثر سهولة للمرضى - لأنها تتميز بطابع تجاري أكبر بالنسبة إلى ما وراء الأطلسي³.

علاوة على ذلك، فلعلم النفس التحليلي مسؤولية في هذا الشأن. ولكي نقتنع بهذا يكفي أن نعيد قراءة المحاضرة التي القاها أندريه جرين في مركز آنا فرويد في 27 أبريل 1995 بعنوان: "هل للجنس أي علاقة بعلم النفس التحليلي؟"⁴.

خلاصة القول إنّ منتقدي نظرية "علم ما بعد النفس" يقترحون أن تُستبدل فكرة الغريزة بنظرية الحافز، وحالة اللاوعي بالدوائر العصبية، والإدراك بمعالجة المعلومات، والأننا الأعلى بالضغط الاجتماعي. هذا الواقع الاستبدالي قد يكون ببساطة نتيجة ضغط شبكات التواصل الاجتماعي.

وأما عن مسألة "عودة المكبوت"، فقد برزت وها نحن نعيد تنشيطها في ضوء ثلاث حقائق أخرى:

الأولى ما أكّده زميلنا كلود بالي Claude Balier، المتخصص في علاج المجرمين المسجونين حين كتب: "منذ تسعينيات القرن العشرين، 25% من السجناء كانوا من مرتكبي الجرائم الجنسية"⁵.

ما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام هو ذلك الفيض في المناقشات العامة وفي الإرادة التشريعية - التي تصل أحياناً حد العبث - والذي يكشف لنا عودة المكبوت هذه، عودة الغريزة الجنسية الطفولية، التي تمثل كما

¹ هذه الورقة صيغة منقحة ومطولة لمداخلة ألقيت في ندوة عن بعد حول موضوع "سفاح المحارم وجرائم التحرش بالأطفال" نظمتها جمعية التدريب الطبي E-Dopamine يومي 28 و29 نيسان/أبريل 2021.

² سيغموند فرويد، "ملاحظات جديدة حول الذهان العصبي الدفاعي"، الأعمال الكاملة، III، 1899-1894، PUF، 2016، ص. 130، 131، 133-134.

³ تينين جانين شاسيجيت -سميرجيل ان اتجاهات التحليل النفسي الأمريكية تمثل تكيّفًا "مع السوق" وتضيف: "من المستحسن البحث عن أدوات جديدة للمرضى الجدد بشرط ألا تتمثل في إغراء مقاومتهم". جانين شاسيجيه سمرجيل، الجسد كمرأة للعالم، PUF، سلسلة "الخيوط الأحمر"، 2011، ص. 11-10.

⁴ أندريه جرين، "هل للجنسانية أي علاقة بالتحلل النفسي؟"، "الحب"، المجلة الفرنسية للطب النفسي، ج1، جويليه - أيلول/سبتمبر 1996، ص829-848.

⁵ كلود بالير، "القدرة الإجرامية المطلقة، شكل من أشكال التدمير الذاتي"، المجلة الفرنسية للطب النفسي الجسدي Revue Française de psychosomatique، PUF، 2/2007، رقم 32، ص. 119. راجع أيضًا نفس المؤلف التحليل النفسي للسلوكيات الجنسية العنيفة، PUF، سلسلة "الخيوط الأحمر"، 2008.

كتب فرويد في مذكرة نُشرت بعد وفاته بعنوان "نموذج أولي لكل النشاط الجنسي البشري"⁶. وهي غريزة لا تتراجع أبداً حتى تشبع.

وقد يقابل هذا الحماس في سن القوانين المتعلقة بزنا المحارم، وبالعلاقات الجنسية وبالجنسانية عموماً، تعليقاً يكاد يكون ساذجاً لفرويد ورد في كتابه "الطوطم والتابو" الصادر عام 1912: "ما لا يريد أحد أن يفعله، لا حاجة إلى حظره، وعلى أية حال، فإن أكثر ما يُحظر صراحة يجب أن يكون في ذات الوقت موضوعاً للرغبة"⁷. وقد تنبّه إلى احتمال ممانعة من القارئ فسارع إلى الإضافة في الصفحة التالية: "حيث يوجد نهي يجب أن تكون هناك رغبة"⁸.

وعلى جميع الأحوال، لا بدّ أن يستوقفنا التمييز اللافت في التعامل مع المصطلحات التي هي موضوع اجتماعنا اليوم "سفاح المحارم والبيدوفيليا": هل يمكن –أو بالأحرى هل يجب- تجريم الاعتداءات الجنسية على الأطفال وحسب، وماذا عن سفاح المحارم والجنسانية الطفولية؟

عندما يتناول علم النفس التحليلي الجنسية الطفولية فهو يرمي إلى الابتعاد من الاعتقاد السائد أو ما تروّجه وسائل الإعلام الباحثة عن الإثارة والتي تميل إلى اختزالها في المظاهر المرضية فقط، وقد لا أغالي لو قلت المدونة، بل كذلك تعمد هذه الوسائل إلى الخلط بينها وبين البيدوفيليا أو إسقاطها على هذه الأخيرة.

ولكن مهلاً فإنّ الأمر أكثر تعقيداً من ذلك بكثير.

ما كشفه علم النفس التحليلي هو أن الجنسية البشرية ثنائية الطور: فخلافاً للاعتقاد السائد، وهو اعتقاد راسخ بشكل مدهش، هناك جنسانية طفولية تسبق الحياة الجنسية التناسلية والإنجابية للبالغ.

فخلال الطور الثاني الذي يأتي في سن البلوغ - لذلك فرويد يخصّه بمصطلح Instinkt "الغريزة" ويفضل استعمال مصطلح "Trieb" للتعبير عن النزوة⁹ - وسواء أحببنا أم كرهناء، يبقى الطور الأول موجوداً، بل يستمر في التوسع ويعمل بكل ما أوتي من جهد على إفشال طور البلوغ. ففي الجنسية البشرية، المكتسب يسبق فطري. والدافع يسبق الغريزة، حتى أن فرويد يكشف عن ذلك في كتاباته الأولى "الجنسي ما قبل الجنسي"¹⁰.

وقبل أن أتساءل هنا عن مكانة مفهوم الإغواء بين سفاح المحارم والجنسانية الطفولية اعتماداً على الفكر الفرويدي، أودّ الإشارة إلى مدى سهولة الربط بين "الجريمة" و"الجنس" من زاوية البيدوفيليا.

تنوهج الرغبة الجنسية الطفولية لدى متشهّي الأطفال بقوة في حضور أي طفل، وتسيطر عليه بغض النظر عن عمره أو ميوله الجنسية البالغة أو وضعه الأبوي، هذا الكلام يجزنا إلى أهمية تحديد بُعدها القهري.

فالانحراف، بحسبانه بنية نفسية، لا بالمعنى الأخلاقي الذي صُنّف به هذا المفهوم خطأً، يشير إلى كل كائن ما يزال نفسياً في مرحلة الطفولة ولو كان جسدياً في مرحلة البلوغ من الجهة التناسلية: هناك "حيث الحصر والتنبيت" كما يوضح سيغموند فرويد تُطرح جانباً الجنسية الموضوعية.¹¹

⁶ سيغموند فرويد، "النتائج، الأفكار، المشاكل"، الأعمال الكاملة، XX، 1937-1939، PUF، 2014، ص. 320.

⁷ سيغموند فرويد، "طوطم وتابو"، الأعمال الكاملة، XI، 1911-1913، PUF، 2009، ص. 277.

⁸ المرجع نفسه، ص. 278.

⁹ جان لابلانث، إشكاليات V، الحوض، تجاوز الانتقال، PUF، سلسلة "Quadrige"، 1998، ص. 267 و 268. انظر أيضاً جان لابلانث الجنسي، الجنسية الموسعة بالمعنى الفرويدي، 2000-2006، PUF، سلسلة "Quadrige"، 2007، ص. 7-25.

¹⁰ سيغموند فرويد، رسائل إلى فيلهلم فليس، 1887-1904، الطبعة الكاملة، PUF، 2007، ص. 186.

¹¹ سيغموند فرويد، "ثلاث مقالات عن نظرية الجنسية"، الأعمال الكاملة، VI، 1901-1905، PUF، 2009، ص. 95.

وسواء وقع تفسير البيدوفيليا استناداً إلى المطلق الفيتشي كما ذكر كلود بالبير الذي يدعم فكرته بمقال لفرويد نشر عام 1927،¹² أو الاقتراس في شكل "هجوم على أنا الآخر لصالح نرجسية الفاعل" حسب بول كلود ركميه P.C. Racamier¹³ أو "احتضار الام الذي لم يمكن التعايش معه" بالنسبة إلى غاي روسولاتو Guy Rosolato ، فإن الاعتداء الجنسي على الأطفال يمثل "أحد أعراض عصرنا حيث نميل إلى تحويل الطفل إلى شيء قابل للاستهلاك"¹⁴ كما يوضحه جيرار بونيه Gérard Bonnet من جانبه.

ويختلف الأمر بالنسبة إلى سحاق المحارم وإلى الجنسانية الطفولية، إذ يتطلب البحث المزيد من الحذر لسبب وجيه، فالإغواء يؤدي دوره هنا. وهذا شرح لفكرتي:

يكن جوهر سحاق المحارم في عدم التكافؤ الأساسي الذي يسود العلاقة النفسية بين الشخص البالغ والطفل. ويؤكد هذا الاختلال التكافؤي، كما بينته بانتظام بحوث البروفيسور جان لابلانش Jean Laplanche ، إغواء أصلياً، يكون مصدرًا للجنسانية الطفولية "الموسعة" – تتخطى ما هو تناسلي – وتغدو منتجة للاشعور البشري.¹⁵ وقد قدم فرويد هذه الفكرة في "ثلاث مقالات عن نظرية الجنسانية"¹⁶ قبل أن يرمي أبو التحليل النفسي حجاباً محتشماً على هذا الاكتشاف المرحح عند تقديم الفرضيات اللاحقة لـ "المراحل".

وأصل تفسير هذا الإغواء الذي يصدر من شخص بالغ يعتني بطفله – وأعتمد ذكر شخص بالغ وليس أحد الوالدين لتأكيد الصيغة الأعم، أي ما يمكن أن يشتمل على الأزواج من نفس الجنس¹⁷ – يتمثل هذا الإغواء من طرف شخص بالغ يعتني بطفله من حيث الرضاعة والرعاية والألعاب والتدريب على عادات النظافة – أي من خلال الملامسات اليومية والتي تعدّ عادية، بل أكثرها براءة – في زرع رسائل غامضة وإيلاجها في عالم هذا الطفل، على أن تكون قد اختُرقت عبر الجنسانية الطفولية الخاصة المكبوتة لهذا الشخص البالغ.

يحسب هذا "الوضع الأنثروبولوجي الأساسي" أيضاً، حسب جان لابلانش، على أساس أنه مرتبط بنظرية "الإغواء المعمّم" بين البالغ والطفل، عاملاً بنويّاً ثابتاً في عملية التحول البشري.

وبنتيجة ذلك ينبثق هذا السؤال: كيف نميز بين إغراء هذا البالغ "هذه المبادرة الجنسانية الغامضة من طرف الشخص البالغ" والاعتداء الجنسي الإجرامي؟

هذا فرق من الفروقات المعقّدة، وإثباته يتبين أنه بإمكاننا الاعتماد على الفكر الفرويدي وحتى على متاهاته. بدا واضحاً أن فرويد قد أدرك الجانب الحارق لاكتشافه، إذ يشهد على ذلك التذبذب المستمر في تفسيره لمفهوم الإغراء هذا. وإذا تفحصنا بإمعان هذا التذبذب، يمكن أن نتبين آليات هذا التداخل بين سفاح المحارم والجنسانية الطفولية.

و في رسالة إلى فليس Fliess بتاريخ 15 أكتوبر 1895 ذكر فرويد أول مرة فكرة الاقتحام وما ينجم عنه من هستيريا إذا كان الأمر يتعلق بالرهاب الجنسي أو عصاب قهري ويرافقه بُعد المتعة¹⁸.

¹² سيغمووند فرويد، «فثيية»، الأعمال الكاملة، XVIII، 1930-1926، PUF، 2015، ص. 124-131.

¹³ بول - كلود ركاميه، الانحرافات النرجسية، Payot، 2012، ص. 34.

¹⁴ جيرار بوني، الانحرافات الجنسية، PUF، 2011، ص. 108.

¹⁵ جان لابلانش، الجنسي، الجنسانية الموسعة بالمعنى الفرويدي 2000-2006، PUF، سلسلة «Quadrige»، 2007، ص. 19-21.

¹⁶ سيغمووند فرويد، "ثلاثة مقالات حول نظرية الجنسانية"، مرجع سابق. انظر أيضاً تقديم هذا النص كتبه فاييان لا موش في سلسلة "Points Essais"

رقم 686، 2012، ص 7 - 38

¹⁷ يذكر جاك لاكان هذا الاحتمال في محاضرة القاها عام 1958: "إذا كان هناك امر يبرز من بين الملاحظات الأكثر وضوحاً، فهوان المثلية الجنسية الذكورية – كذلك الأخرى لكننا سنقتصر اليوم على ذكر لأسباب تتعلق بالوضوح. - هي ان الانقلاب المتعلق بالهدف الذي يبنيني في طور اوديب كامل ومكتمل"، "المحاضرة"، الكتاب الخامس (1957-1958)، تشكيلات اللاشعور Seuil، سلسلة "المجال الفرويدي"، 1998، ص. 207.

¹⁸ نفس الرجوع ص 334.

غير أنّ فرويد تخلى -ظاهرياً- عن نظرية الإغواء كما كتب في الخطاب الشهير للاعتدال الخريفي الذي وجهه إلى صديقه فيلهلم فليس في 21 سبتمبر 1897.¹⁹ وكانت تشغله حينها فكرة الاعتداء الجنسي على الأطفال: أي حلقة من الإغواء، يمارسها شخص بالغ جنسياً على الطفل. من جهة أخرى ما يسميه فرويد "التأثيرات العرضية"، أي الاعتداءات الجنسية الواقعة - على مستوى الأعضاء التناسلية؟ - على الأطفال من قبل البالغين.²⁰ وكانت خيبة أمله في مستوى توقعاته: لا يوجد دليل على الواقع في العقل الباطن.

وعلى الرغم من التخلي الذي أبداه سنة 1897، عاد فرويد مجدداً إلى الفكرة نفسها عام 1905 في "ثلاث مقالات حول النظرية الجنسية"، إذ أصبح يعدّ الطفل "منحرفاً متعدد الأشكال"²¹ وهو تعبير نابع من خصائص النزوة الجنسية الطفولية: الحركة الشديدة للمناطق المثيرة للشهوة الجنسية، ومتعة الأعضاء، والتشطي الفوضوي للنزوة الجنسية والبحث الدائم عن اللذة الذي يمثل بلا شك السمة الرئيسية لهذه النزوة مقارنة بالتناسل.

من المهم أن نتبين كيف قام فرويد لاحقاً بتحويل أصل الإغواء إلى البالغين. وللتأكد من ذلك، لا بد من الرجوع إلى سجلات جمعية التحليل النفسي في فيينا، بفضل تقارير أوتو رانك.

يمثل اجتماع 11 يناير 1911 أول دليل؛ إذ أشارت خلاله الدكتورة مارغريت هيلفردينغ Dr Margarete Hilferding، في سياق عرض أفكارها حول "أسس حب الأم" إلى "الإثارة الجنسية التي تثيرها الأم... فيما يتعلق بالحاجة إلى رعاية الطفل".²²

في السنة التالية، وفي إطار تلك المناقشات التي تتخلل اجتماعات مساء الأربعاء، لاحظ فرويد نفسه: "إن مداعبات الأب البريئة أيقظت بالفعل جنسانية الفتاة الصغيرة في طفولتها المبكرة".²³

وفي سياق هذا السرد السريع لا ننسى المرجع الطليعي لساندور فيرينزي Sandor Ferenczi الصادر سنة 1932 في "خط اللغة بين البالغين والأطفال"²⁴، إذ يشرح التلميذ المتمرد لفرويد كيف غدت "إغوائيات سفاح القربى" عادة حسب نظره: "وهكذا، فإن البالغ والطفل يحب بعضهما بعضاً؛ لدى الطفل تخيلات ممتعة مثل تأدية دور الأم تجاه الكبار. يمكن أن تأخذ هذه اللعبة شكلاً شهوانياً لكنها تظل دائماً في مستوى الحنان". ويوضح المؤلف الخطر المتأني من البالغين ذوي "الأرضية النفسية المرضية": فهم يخلطون بين لعب الأطفال ورغبات شخص بلغ مرحلة النضج الجنسي، وينجرفون إلى القيام بأفعال جنسية دون التفكير في العواقب.²⁵

يعود فرويد إلى مسؤولية الأم في المحاضرة الثالثة والثلاثين حول "الأثوثة" من "محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي" قائلاً: "وها إننا نلتقي الآن بتخييل الإغواء مرة أخرى في المرحلة السابقة للتعلق الاوديبى

¹⁹ نفس المرجع ص 334.

²⁰ نجد آثاراً لذلك في الكتابات الأولى لفرويد: "المخطوطة ب" (فبراير 1893)، رسائل إلى فيلهلم فليس، 1887-1904، الطبعة الكاملة، PUF، 2007، ص. 61. انظر أيضاً ملامح للتحليل النفسي العلمي، *Esquisse d'une psychologie scientifique, Entwurf einer Psychologie*، Erès، سلسلة "سكربيتا"، 2011، ص. 122-123. تمكنا أهمية هذه الطبعة الثنائية اللغة من الوقوف على بعض بهتان المعنى في الترجمة: ففي الطبعة الألمانية نقرأ "als ob sie damit das Attentat provozieren hätte wollen" «...comme si par...» «...là elle avait voulu provoquer l'attention» "كما لو أنها أرادت بذلك جذب الانتباه". وإن كان ذلك خطأ في الترجمة أو خطأ مطبعياً فإن المصطلح الألماني قد ترجم بشكل صحيح (ص 659-658) في النسخة الرسم الأولى المدمجة في رسائل إلى فيلهلم فليس (المرجع السابق، ص 595-693).

²¹ سيغمووند فرويد، "ثلاثة مقالات عن النظرية الجنسية"، الأعمال الكاملة، ج السادس، 1905-1901، PUF، 2009، ص. 127 و172.

²² الجلسة عدد 126 بتاريخ 11 يناير 1911، المحللون النفسيون الأولون، سجل جمعية التحليل النفسي في فيينا، سلسلة "معرفة اللاوعي"، NRF Gallimard، III، 1910-1911، 1979، ص. 13-119.

²³ يبين فرويد كذلك: "ينطبق الأمر نفسه على الطفل الصغير ووالده"، الجلسة عدد 159 بتاريخ 24 يناير 1912، المحللون النفسيون الأولون، سجل جمعية التحليل النفسي في فيينا، سلسلة "معرفة اللاوعي"، NRF Gallimard، IV، 1912-1918، 1983، ص. 43.

²⁴ ساندور فيرينزي، الخط اللغوي بين البالغين والأطفال، عدد 521 المكتبة الصغيرة Payot، 2004.

²⁵ ساندور فيرينزي، "الخط اللغوي بين البالغين والأطفال"، n° 521 المكتبة الصغيرة بايو، عدد 521، 2004.

عند البنت، لكن الأم هي التي تقوم بالإغواء في هذه الحال. على أن لهذا التخيل أساسًا من الواقع، لأن الأم هي التي تستثير الإحساسات اللذيذة الأولى في الأعضاء التناسلية للصغيرة عندما تتعهد حاجاتها الجسمية المعتادة.²⁶

إننا نستشعر الصعوبة: فمن ناحية، هناك شخص بالغ: إذا كان شاذًا، فهو "منحرف بالنسبة إلى الموضوع ومنحرف بالنسبة إلى الغرض". لكن ليس هذا هو المعنى الذي يجب أن يفهم من خلاله الإغواء بكينونته الواضحة المعممة... بل من جهة التخيل.

من ناحية أخرى، يترافق الإغواء وسلبية الطفل، وهو الذي سيكون الضحية المحتملة للعدوان. ولكن ما يثير اهتمامنا هو اختيارات موضوع سفاوح القربى، التي تغطيها بشكل ملطّف تسمية عقدة أوديب. قد يكون من المهم دراسة فكرة السلبية القابلة هذه، وحتى الطواعية، التي غالبًا ما تطفو في كتابات المؤلفين المتنوعة. دراسة فريدة ستمكّن ليس من تسليط الضوء على العلاقات النفسية الخفية الكامنة بين المتحرشين الجنسيين وضحاياهم وحسب. و-لاستحضار مجال يأخذنا بعيدًا عن موضوعنا - بل يكون بحثًا يمكّن من إلقاء الضوء على بعض الآليات النفسية للتحويل إلى الإرهاب الجهادي.²⁷ هذه بعض الأمثلة:

"الحالات التي يقع فيها الموضوع هي حالات سلبية قابلة... ولا يصل المرء إلى تلك الحالة ببذل الجهد، بل على العكس من ذلك، المهم، وحتى لا يعرقل التطور، هو الاستسلام بطريقة شبه سلبية لحالة النعيم."²⁸ كتب لو أندرياس سالومي Lou Andreas Salomé في إحدى رواياته: "الإثارة المجنونة للطواعية، هي أقوى ما فينا جميعًا".²⁹

حسب فيلهلم شتيكل Wilhelm Stekel "الحب هو الرغبة في الطواعية".³⁰

من جانبه، يرى ساندر فيرينزي: "يمنح المرء نفسه إن جاز التعبير بكل تلذذ كأضحية، أي كمادة لقوى أنانية أخرى أكثر هيمنة وأكثر شدة".³¹

ويسهم في هذا الاتجاه بيير جانيت Pierre Janet الذي يعدّ المنافس الفرنسي لفرويد: "كثيرًا ما يطلب المحب سيّدًا".³²

غير أن نهج علم ما بعد النفس الأكثر تطلبًا في مسألة الطواعية يعود لدانيال لاغاتش، الذي يحدد في نص نشر عام 1961 الآليات المرتبطة مباشرة بهذا التفاوت بين البالغ والطفل: "يُسمى أيضًا هذا الموقف "مازوخي" بمعنى أن الطفل السلبي، المطاوع قد يشعر بالرضا لكونه هدفًا لقوة الآخر المطلقة".³³

وبما أن جميع مجالات التفاعل بين البالغين والأطفال تكون مصادر محتملة للإغواء، فإن الحَمَام والرضاعة الطبيعية في هذا المقام أكثر ما يكشف سريريًا: فهي تقوم بتعبئة عدد من التخيلات اللاشعورية.

²⁶ سيجموند فرويد، "الأنوثة"، في "محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي"، الأعمال الكاملة، XIX، 1936-1931، PUF، 2013، ص. 204.
²⁷ وحيث يعيش الإرهابي المستقبلي انهيارًا أكثر من كونه صراعًا نفسيًا سيكون له بمثابة هيكل ودعم. جان لوك فانيير، "تأملات التحليل النفسي حول الإرهاب الجهادي، من عقاب الذات إلى تدمير الذات"، في التطرف والراديكالية، صوت التدمير، الطب النفسي الفرنسي، ج. XXXXVIII، 17/2، أكتوبر 2017، ص. 91-110.

²⁸ يوجين - برنارد ليروي، طبيعة الهلوسات، المجلة الفلسفية لفرنسا والخارج، ج. LXIII باريس، 1907، ص. 609.
²⁹ هو كتاب لو أندرياس سالومي الأخير: Das Haus، برلين، أولشتاين Ullstein، 1919. ذكر من قبل إتش إف بيترز، أختي، زوجتي، سيرة لو أندرياس سالومي، NRF Gallimard، 1967، ص. 191.

³⁰ ويلهلم شتيكل، المرأة الباردة جنسياً، Gallimard، سلسلة "الأفكار"، 1950، ص. 91.
³¹ ساندر فيرينزي، "تأملات في متعة السلبية"، في تأملات في الماسوشية، المكتبة الصغيرة Payot، رقم 871، 2012، ص. 94.

³² بيير جانيت، كره وحب، شواطئ للجيب Rivages poche عدد 940، 2019، ص. 84.
³³ دانيال لاغاتش، نشريّة علم النفس، 1961، ص. 99-112.

فيا يخص المجال، أي الاستحمام، الأول يلاحظ كلود بالير في دراسته للسلوك الجنسي العنيف «ان طقوس الحمام، نادرًا ما تكون خالية من دوافع خفية»³⁴ وقد صرحت بذلك شابة من مرضاي خلال العلاج بالتحليل لمحاولة فهم أسباب جنسانية بالغة الاضطراب التي تعرضها باستمرار للخطر فأوضحت أن " كل مساء، بينما كانت والدتها تعدّ العشاء، كان والدها يأخذها - بناءً على طلب الأم، وجب تحديد ذلك - إلى الحمام لمراقبتها عندما تقوم بالاستحمام. لم يكن يدخل بيت الحمام، بل يمكث على عتبة الباب ". وتضيف: "لقد كانت نظراته تخترقني". ويتبع هذا التأكيد صمت رهيب.

وليس بعيدا من الحمام والتغذية، كنت قد تحدثت في ورقة علمية نشرت في مجلة "الطب النفسي الفرنسي" بعنوان "الإبهام الأبوي، *nahrungseinfuhr* لمراهقة مصابة بالقهم " عن رعاية وعلاج لفئة ظلت في مرحلة تثبيت مرضي تجاه الأب حتى البلوغ.³⁵

وقد كان لفرويد نفسه زلة لسان حول التغذية في ورقته العلمية *Entwurf*، "تصور اولي للتحليل النفسي العلمي" كتبها سنة 1895 - وليس من الصدفة أن تحدث هذه الزلة في الفصل المعنون *Das Befriedigungserlebnis* (حدث الرضا) - حيث كتب *Nahrungseinfuhr* بدلاً من *Nahrungszufuhr* :³⁶ فعوضا عن عبارة احضار الطعام، كان فرويد يفكر *Einfuhr*، أي تقديم بمعنى إدخال - إيلاج - الطعام. من وجهة النظر هذه، فإن رعاية مرضى القهم تكون نموذجية تمامًا.

نكون في مستوى آخر بالنسبة إلى هذا الإغواء، فهو أقل وضوحًا لكن له التأثير نفسه من حيث العواقب النفسية لتعرض الأطفال إلى إساءة أو عنف.

وعليه يخلص فرويد في جلسة عام 1911 هذه إلى إن "الدوافع العدائية التي يتم التعبير عنها من خلال الاعتداء على الأطفال تكون مرتبطة أيضًا بصحة الجنسانية الطفولية للام"³⁷ مبيّنًا أن هذه الدوافع ناتجة عن محاولات الأم لمواجهة صحة جنسانية كانت مكبوتة في طور الطفولة.

تؤدي هذه الاعتداءات، في أخطر الحالات، إلى بروز مظهر من مظاهر فكّ القيد، أو حتى انفجار غريزي "يهدف إلى إرباك أي مجموعة أو تدمير أي من أشكال الحياة، سواء على المستوى الاجتماعي أو على مستوى الكائن الفردي". وهي عناصر قد تميز "الدافع الجنسي للموت"³⁸

في الختام، أود أن أذكر أنه في عام 2015، أوصى مجلس الأخلاقيات الألماني بـ "عدم تجريم" سفاح القربى بين الإخوة والأخوات البالغين، وهو رأي يمكن أن يبين في النهاية استحالة ضبط فارق السن بدعوى الحث على التشريع على فارق السن بين الأجيال. من الممكن أيضًا النظر في القانون الفرنسي الصادر في 21 أبريل 2021 نُشر في الرائد الرسمي بتاريخ 22 أبريل 2021 والهادف إلى حماية القاصرين من الجنايات والجنح الجنسية ومن سفاح القربى، ويضع هذا القانون حدًا عمريًا لعدم الرضا عن أي علاقة جنسية بين الشخص الراشد والقاصر البالغ 15 سنة ويكون بينهما فارق سن يفوق 5 سنوات³⁹ و18 سنة في حالات

³⁴ كلود بالير، التحليل النفسي للسلوك الجنسي العنيف، PUF، سلسلة "الخط الأحمر"، 2008، ص. 114.

³⁵ جان لوك فانيه، "الإبهام الأبوي، *nahrungseinfuhr* لمراهقة مصابة بالقهم"، التوحد والذهان الطفولي، في مجلة "الطب النفسي الفرنسي"، ج. XXXV، 14/4، سبتمبر 2015، ص. 74-82. ترجم هذا النص إلى اللغة الإيطالية من قبل دوناتيلو جيانينو في *Rivista Impronte*، وإلى اللغة الفارسية (الموقع الإلكتروني لنيمّا غورباني، عميد كلية العلوم الإنسانية -جامعة طهران).

³⁶ سيغمووند فرويد، "تصور اولي للتحليل النفسي"، سلسلة *Erès Entwurf einer Psychologie*، سكريبيتا، 2011، ص. 57/56. انظر أيضًا سيغمووند فرويد، رسائل إلى فيلهلم فليس، 1887-1904، طبعة كاملة، PUF، 2007، ص. 626. (حاشية). في الطبعة الألمانية وقع تصحيح زلة فرويد هذه دون التثبيت في معناها.

³⁷ الجلسة عدد 126 بتاريخ 11 يناير 1911، المحللون النفسيون الأولون، محضر جمعية التحليل النفسي في فيينا، سلسلة "معرفة اللاوعي"، NRF Gallimard، III، 1910-1911، 1979، ص. 125.

³⁸ جان لابلاش، أولوية الآخر في التحليل النفسي، Champs Flammarion، 1997، ص. 66.

³⁹ بند يُعرف باسم "روميو وجولييت" حتى لا تُجرم العلاقات بين المراهقين.

سفاح القربى. وبغض النظر عن الحرص المشروع - من يمكنه الاعتراض من حيث المبدأ؟ - على حماية الأضعف، تظل فكرة "الرضا"، وهي اعتباطية من الناحية التحليلية وكذلك ضبط السن القانوني من قبيل المجازفة، إذ إنه وكما يذكرنا جان لابلانش، أن "الجريمة الجنسية" تنشأ منذ الولادة، تحديداً في هذا الاختلاف الأساسي، في هذا التعلق اللبدي اللاشعوري من البالغ تجاه الطفل، وهو غير قادر على فهم اللغز الجنسي الكامن في تلك الرسائل واستيعابه. يتميز هذا الإغواء بنوع من التواصل الخاص بهذه العلاقة غير المتكافئة التي تسود بين المصدر - البالغين الذين يقدمون يد المساعدة- والهدف، وهو الطفل في حالة *Hilflosigkeit*، أي "عجز".

السيد الرئيس، السيدات والسادة، أشكركم على اهتمامكم.

نيس، يونيو 2021.

ج.ل. فانيه

قائمة المراجع

- كلود بالير، "التحليل النفسي للسلوك الجنسي العنيف"، PUF، سلسلة "الخيوط الأحمر"، 2008.
- كلود بالير، "القدرة الإجرامية المطلقة، شكل من أشكال التدمير الذاتي"، المجلة الفرنسية للطب النفسي الجسدي Revue Française de psychosomatique، PUF، 2007.
- جيرار بوني، الانحرافات الجنسية، PUF، 2011.
- جانين شسغات-سميرجل، "الجسد كمرآة للعالم"، PUF، سلسلة «الخيوط الأحمر» 2011.
- ساندر فيرينزي. (1930)، "تأملات في لذة السلبية"، في تأملات في المازوشية، المكتبة الصغيرة Payot، عدد 871، 2012.
- ساندر فيرينزي. (1932)، "الخلط اللغوي بين البالغين والأطفال"، المكتبة الصغيرة Payot، عدد 521، 2004.
- سيغموند فرويد (1896)، "ملاحظات جديدة حول الذهان العصبي الدفاعي"، الأعمال الكاملة، ج III، 1899-1894، PUF، 2016.
- سيغموند فرويد، رسائل إلى فيلهلم فليس، 1887-1904، طبعة كاملة، PUF، 2007.
- سيغموند فرويد، (1905) "ثلاثة مقالات عن النظرية الجنسية"، الأعمال الكاملة، ج VI، 1901-1905، PUF، 2009.
- سيغموند فرويد، (1912) "طوطم وتابو"، الأعمال الكاملة، ج XI، 1911-1913، PUF، 2009.
- سيغموند فرويد، (1927) "الفثنية"، الأعمال الكاملة، ج XVIII، 1926-1930، PUF، 2015.
- سيغموند فرويد، (1933) "الأثوثة"، في "محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي"، الأعمال الكاملة، ج XIX، 1931-1936، PUF، 2013.
- سيغموند فرويد، (1938) "النتائج، الأفكار، المشاكل"، الأعمال الكاملة، ج XX، 1937-1939، PUF، 2014.
- أندريه غرين، (1996) "هل للجنسانية أي علاقة بالتحلل النفسي؟"، "الحب"، المجلة الفرنسية للطب النفسي، ج LX.
- بيير جانيت، (1925) "كره وحب"، شواطئ للجيب Rivages poche عدد 940، 2019.
- يوجين برنارد ليروي، (1907) طبيعة الهلوسات، المجلة الفلسفية لفرنسا والخارج، ج LXIII باريس.
- جاك لاكان (1957)، "المحاضرة"، الكتاب الخامس (1957-1958)، "تكوينات اللاشعور"، سلسلة «مجال فرويد»، Seuil، 1998.
- دانيال لاغاش (1961) نشرية علم النفس.
- جان لابلان، (1997) أولوية الآخر في التحليل النفسي، Champs Flammarion.
- جان لابلان، (1998) إشكاليات V، الحوض، تجاوز الانتقال، PUF، سلسلة Quadrige، 2007.

- جان لابلانث، (2007) الجنسي، الجنسانية الموسعة بالمعنى الفرويدي 2000-2006، PUF، سلسلة Quadrigé.
- هاينز فريدريك بيترز (1962)، أختي، زوجتي، سيرة لو أندرياس سالومي، NRF Gallimard، 1967.
- ويلهلم ستينكل (1937) المرأة البارة جنسيا سلسلة " أفكار"، Gallimard، 1950.
- بول - كلود راكمييه، الانحرافات النرجسية، Payot، 2012.
- جان لوك فانيه، (2014) «الإبهام الأبوي، *nahrungseinfuhr* لمراهقة مصابة بالقهم»، التوحد والذهان الطفولي، الطب النفسي الفرنسي، ج. XXXXV، 2015.14/4.
- جان لوك فانيه، (2017)، "تأملات التحليل النفسي حول الإرهاب الجهادي، من عقاب الذات إلى تدمير الذات"، في التطرف والراديكالية، صوت التدمير، الطب النفسي الفرنسي، ج. XXXXVIII، 17/2.
- ملامح للتحليل النفسي العلمي، *Esquisse d'une psychologie scientifique, Entwurf einer Psychologie, Erès*، سلسلة "سكريبتا" Scripta 2011.
- المحللون النفسيون الأولون، محضر اجتماعات جمعية التحليل النفسي في فيينا، سلسلة. "معرفة اللاشعور"، NRF Gallimard، III، 1911-1910، 1979.
- المحللون النفسيون الأولون، محضر اجتماعات جمعية التحليل النفسي في فيينا، سلسلة. "معرفة اللاشعور"، NRF Gallimard، IV، 1918-1912، 1983.